(ابن جدار) أيضاً

الدكتور أمجد الطرابلسي

في الجزء الجزء الرابع من المجلد السابع والأربعين من مجلة مجمع دمشق[١] نشر الأستاذ محمد عبد الغني حسن تعليقاً مفيداً حول ابن جدار . وكان مثار هذا التعليق ورود اسم هذا الشاعر مع بيتين له في رسالة (الاسم والمسمّى) لابن السيّد البطليوسي التي سبق للأستاذ أحمد فاروق أن نشرها في الجزء الثاني من المجلد المشار إليه[٢] . والبيتان هما :

هيهات يا أخت آل بَمّا غلطت في الاسم والمسمّى
لو كان هذا وقيل سمّ مات إذاً من يقول سمّا

ويتساءل الأستاذ المعلّق في نهاية كلمته عن هذا الشاعر : هل هو الشاعر المصري الذي عاش في عصر ابن طولون والذي ترجمه ابن سعيد في (المُغرب) وذكره ياقوت في (معجم الأدباء) مُسمّياً إياه جعفر بن حُذار[٣] ، أم هو شاعر أندلسيّ مجهول آخر؟

---

(١) ص ٩٤٠ – ٩٤٢

(٢) ص ٣٢٥ فما يلي

(٣) وسُمّي هذا الشاعر أيضاً ابن حَدّار – بالحاء المهملة المفتوحة والدال المهملة المشدّدة – وذلك في المطبوع من (ذخيرة) ابن بسام (المجلد الأول من القسم الرابع ، ص ١٥٥) . وعلى هذه الطبعة من (الذخيرة) اعتمد المستشرق الفرنسي شارل بيلا في النص الذي قام بتحقيقه وترجمته إلى الفرنسية من أحاديث ابن شرف القيرواني . انظر (مسائل الانتقاد لابن شرف ، ط . الجزائر عام ١٩٥٣ ، ص٨). ولكن صيغة ابن جِدار =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والإجابة عن هذا التساؤل ممكنة بقرينة كلامٍ لابن عبد ربه قاله في التمييز بين طبقة الشعر وطبقة الشاعر[١] جاء فيه :

« وقد يأتي من الشعر ما هو خارج عن طبقة الشعراء ، منفرد في غرائبه وبديع صنعته ولطيف تشبيهه ، كقول **جعفو ابن جدار كاتب ابن طولون** :

وطفلةٍ رخصة المداري[٢] ليست تُحلّى ولا تُسمّى
إلاّ بسلك من اللآلي يُعجز من يُخرج المعمّى
صغرى وكبرى إلى ثلاثٍ مثل التعاليل أو أتمّا...[٣] »

ثم يثبت ابن عبد ربّه هذه الميميّة بتمامها ، وقد جاءت في خمسةٍ وخمسين بيتاً بينها البيتان اللذان استشهد بهما ابن السِّيد البطليوسي .

وواضح من صريح كلام ابن عبد ربّه أن ابن جدار الذي ذكره البطليوسي هو الشاعر المصري الذي عاش في كنف ابن طولون في النصف الثاني من القرن الثالث الهجريّ لا سواه .

وقد يكون من تمام الفائدة أن نشير هنا إلى ورود اسم هذا الشاعر في كلام لأديب مغربيّ أندلسيّ آخر هو ابن شرف القيرواني . فقد جارى الكاتبُ أبا الريّان ، بطل مقاماته أو أحاديثه ، في الشعر والشعراء ، محاولاً أن يستكشفه

= – بكسر الجيم – هي الأكثر وروداً ، نجدها في (المغرب) لابن سعيد ، و (العقد) لابن عبد ربه ، و (الاسم والمسمّى) للبطليوسي ، و (رسائل الانتقاد) لابن شرف المنشورة في مجموعة (رسائل البلغاء) لمحمد كرد علي بتحقيق حسن حسني عبد الوهاب . والذي يتبادر إلى ذهن الباحث ، دون أن يستطيع الجزم بذلك ، أن هذه القراءة الأخيرة هي الصحيحة ، وما عداها ألوان من التصحيف .

(١) العقد الفريد ، ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر بتحقيق أحمد أمين وزملائه ، ج٥ ، ص ٣٤٨ فما يلي .

(٢) ورويت : المرائي . العقد ، بتحقيق سعيد العريان ، ٦/١٦٩

(٣) لم أستطع الكشف عن اسم هذه (الطفلة) لكوني لست ممّن يُخرج المعمّى...

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عن مذهبه في قديمهم وحديثهم . وسأله فيما سأله عن بعض شعراء « الطبقة المتأخرة في الزمان ، المتقدّمة في الإحسان ، كأبي فراس بن حمدان ، والمتنبّي بن عَبدان ، **وابن جدار المصري** ، وابن الأحنف الحنفيّ ، وكشاجم الفارسي . . .[1] الخ » .

وابن شرف في كلامه هذا ، زيادةً على أنه يلقب ابن جدار بالمصري ، يجعله في طبقة تضم جماعة من الشعراء المتأخّرين زماناً ، المتقدمين إحساناً ، منهم المتنبي وأبو فراس . وليس هنا مجال مناقشة ابن شرف في رأيه هذا أو في اضطراب مفهوم التأخر في الزمان عنده . ولكننا نكتفي بالإشارة إلى أنه في موقفه هذا من الشاعر يخالف إلى حدٍ ما سلفه ابن عبد ربه الذي ، على ما يُفهم من كلامه ، لم يكن يُحِلّ ابن جدارٍ مثل هذه الطبقة الرفيعة ؛ ولكنه كان معجباً كل الإعجاب بقصيدته الميميّة التي هي في رأيه من الانفراد في الغرائب وبديع الصنعة ولطيف التشبيه بحيث خرجت عن طبقة الشاعر ، على حدّ تعبيره .

ومما تحسن الإشارة إليه في ختام هذه الكلمة أن عدداً من أدباء الأندلسيين ذكروا اسم ابن جدار أو تحدّثوا عنه حديثاً يطول أو يقصر . ومن هؤلاء — وقد مرّ ذكرهم جميعاً في هذا التعقيب المقتضب أو في حواشيه . ابن بسام ، وابن شرف ، وابن سعيد ، وابن عبد ربه ، زيادةً على ابن السِّيد الذي كان ذِكرُهُ لبيتي ابن جدار منطلق هذه التعليقات . وإن دلّ هذا على شيءٍ فعلى أن ابن جدار كان معروفاً ، إن لم نقل مشهوراً ، في المغرب والأندلس . بل لربما كانت شهرته في مغرب الوطن العربي فوق شهرته في مشرقه . تُرى ، هل نستطيع أن نردّ الفضل في هذا إلى ابن عبد ربّه الذي كان ، على ما يبدو ، أقدم

---

(١) « رسائل الانتقاد » لابن شرف ، في مجموعة (رسائل البلغاء) لكرد علي . ط ٣ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ص ٣١٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من تحدّث من الأندلسيين عن هذا الشاعر ، وأثنى عليه ، واختار من شعره ؟

وأُشير أخيراً إلى أنّ في ميميّة ابن جدار التي أثبتها ابن عبد ربه في (العقد) ما يكشف عن بعض ملامح طريقة الشاعر الفنّية وحسن تأتّيه في التعبير عن خوالج نفسه في النسيب ، والزهد ، وذكر الشيخوخة ، وبكاء الأصدقاء ، والاستتابة ، وخشية العقاب ، وما إلى ذلك من المعاني التي تشتمل عليها هذه القصيدة الرقيقة ؛ كما أنّ فيها أضواءً تُنير بعض جوانب حياة شاعرنا ، ولكن مثل هذه الكلمة المقتضبة لا تتّسع للإفاضة في تفصيل هذه النواحي .

أمجد الطرابلسي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net